رؤساء المأمورين . والرتبة الخامسة مع لقب (حميتلو) على مديري الاقلام ومميزيها

وقسمت بعد ذلك الرتبة الثانية والثالثة الى قسمين وجه اول منها على رجال الباب العالي والثاني على ارباب اللياقة من مأموري الولايات وقد أُهملت منذ ربع قرن فروع الرتبة الثالثة كما أُهملت في زماننا رتبة (خواجكان) و (قبوجي باشي او الخامسة)

وفي سنة ١٢٥٥ سمي القسم الاول من الثانية متمايزاً وقسمت الرتبة الاولى الى قسمين وسمي القسم الاول (اولى اولي) بالاضافة مع زيادة (حضرتلري) على الالقاب والشارات بين العبارات وسمي القسم الثاني (اولى تابيسي) وبالنظر لتكاثر سواد اصحاب الرتب الاولى وتجاوز عددهم الاربعين شخصاً احدثت في سنة ١٢٩١ رتبة (بالا) مع لقب (عطوفتلو) ليكون خاصة بالرجال العاملين والممتازين على شرط ان لا يزيد عدد اصحابها على السبعة اه

* * *

اسبانيا والعمران العربي

نشر المسيو كاداتين من علماء المشرقيات بحثاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي الباريزية جاء فيه ما تعريبه : كتب لاسبانيا من دون سائر بلاد اوربا ان تكون مبعث اشعة التمدن الاسلامي وكهف اللغة العربية على حين ليست هذه الشبه الجزيرة متصلة من حيث موقعها الجغرافي بالشرق الاسلامي مباشرة كما هي حال الممالك البلقانية واليونان مثلاً . واقرب البلاد بها مسلكاً واقربها منها هي بلاد افريقية التي كانت منذ قرون ثانوية في الشؤون الاسلامية فشغلت اسبانيا مكانة عظمى في تاريخ الاسلام اكثر مما حاولته آسيا الصغرى من البلاد الطويلة واليونان التي لم تشهد من الاسلام الا العهد المتوغل في التوحش الكثير الغنى القليل النفع ونعني به عهد الاتراك على حين ذاقت اسبانيا اجمل عهود الاسلام واخصبها ونعني به عهد العرب فتأصلت مدنيتهم في اسبانيا وازهرت فيها اي ازهار

فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير اسبانيا من سنة ٧١١ م الى ٧١٤ وكانت مستعدة لهذا الفتح لان الدولة التي كانت رافعة عليها اعلامها فاستولى العرب على عرش تلك البلاد

من ملكها رودريك الذي هلك في المعركة واظهر الاشراف ورجال الدين من الاسبانيين من الجبن والنذالة شيئاً كثيراً فهربوا من اشبيلية وقرطبة عندما سقطتا في ايدي العرب ولم يفكروا في الدفاع عنها وبلغ بهم الخوف في طليطلة ان بعضهم هرب الى غاليسيا ومن رجال الدين من لم يقفوا الا في رومية لانهم كانوا يخشون على حياتهم واموالهم على ان حكومة اسبانيا اذ ذاك كانت مكروهة من العبيد واليهود لان هؤلاء كانوا مضطهدين . خدم العبيد بادئ بدء الدولة الاسبانية قبل دخول العرب ثم قل اخلاصهم لها حتى ان قرطبة سلمها للعرب راهب من العبيد وتمت على ايديهم خيانات اخرى .

وكان اليهود اكثر ضرراً على حكومة اسبانيا القوطية ولا يتأتى تقدير عددهم بالتدقيق بل هم فيما يظهر عنصر مهم للغاية انتشروا في قرطبة واشبيلية والبيرة وغرناطة وطليطلة وغيرها من المدن ولا سيما لوسنا

وكان اليهود في الاندلس على جانب عظيم من الغنى وحسن معرفة بالتجارة وارقى عقلاً من جيرانهم واستحكمت بينهم الصلات حتى اصبحوا حكومة وسط حكومة فخاف الملك ورجال الدين الكاثوليكي من امتداد سلطانهم واخذوا يضطهدونهم بشكل شديد فربى الخوف والاضطهاد في نفوسهم البغضاء وحب الانتقام . وفي سنة ٦٩٤ قبل مجيء طارق والعرب بسبع عشرة سنة دبر الاسرائيليون مكيدة بمعاونة قبائل البربر اليهود من اهل افريقية وكادوا يستولون على زمام المملكة الاسبانية فلما اكتشفت المكيدة التي دبروها واخذ المسيحيون يعاملون الاسرائيليين معاملة العبيد الارقاء وكاد يقضى على العنصر اليهودي عندما بدت طلائع الفاتحين من العرب . اعتبر اليهود العرب مخلصين لهم فلم يلبثوا أن يسلموا اليهم واخذوا يعاونونهم معاونة خالصة لهم وكلما كان يفتح العرب مدينة يجعلون نصف حاميتها من اليهود والنصف الآخر من المسلمين ولم يستثن من ذلك الا مدينة ملقة حيث قصر اليهود فلم يتداخلوا في امرها

وكان لليهود شأن واي شأن مع العرب فكان من نتائج اضطهاد المسيحيين على اوائل الفتح ان ربي يدخل في الاسلام ويتحرر من قيود اليهودية قرن ثم اصبح اليهود حلفاء المسلمين يتمتعون باراضيهم واموالهم وحريتهم في عبادتهم وغدت لهم مكانة في تنظيم شؤون اسبانيا ولا سيما في غرناطة التي ازدهرت بمساعيهم وغدت تسمى في اواخر القرن العاشر مدينة اليهود ثم حدثت مذبحة سنة ١٠٦٦ فقتل فيها من الاسرائيليين اربعة آلاف رجل في غرناطة وحدها

ولم يكن المسيحيون الاحرار في الاندلس مثل العبيد واليهود من اعوان الفتح العربي بل كانوا خصومه ومع هذا كنت تراهم على حالة حسنة مع الفاتحين ممتعين بحريتهم المذهبية ومحتفظين بالقسم الاعظم من كنائسهم وكثير منهم دانوا بالاسلام سياسة او اعتقاداً لانهم رأوا المسلمين نالوا النصر المؤزر الباهر . والسبب في تسامح العرب مع نصارى اسبانيا ان مركز العرب كان الى القلق وكلمتهم مختلفة وذلك لان العرب والبربر يكره بعضهم بعضاً . ثم ان العرب بطبيعتهم مفطورون على التسامح الديني وكان النصارى وحدهم يدفعون الجزية حتى اذا اخذوا يدينون بالاسلام فرغت خزائن الحكومة العربية لقلة الجزية الواردة اليها . ثم ان المسلمين اخذوا يتزوجون من الاسبانيات اللاتي كن بمثابة العنصر الصالح للامتزاج بين الفاتحين وخصومهم

وكانت تجري على سادات الاسبانيول احكام الاسلام فيختلطون باشراف العرب ومن ظل محتفظاً بدينه منهم نشأ ابناؤه فصار يحجب نساءه كالمسلمين ويقتدي بازيائهم والسنتهم وعاداتهم في مآدبهم وملاهيهم وملاعبهم ويزهد في اللغة اللاتينية ويجتهد في تعلم اللغة العربية وآدابها ويسعى في نيل وظيفة في الجيش الاسلامي او التعلق بخدمة الخليفة او احد رجاله .

ولقد كان القشتاليون والليونيون والنافاريون من سكان شمالي اسبانيا المسيحيين يأتون بكثرة للانخراط في خدمة الخليفة المنصور وكان هذا موقناً بان حب الكسب هو الذي يحمل هؤلاء على الاخلاص له اكثر من اشراف العرب الطامعين فيجري عليهم تلك الارزاق والجرايات الوافرة ويشملهم برعايته . واذا شجر اختلاف بين مسيحي ومسلم من جنده يعطي الحق غالباً للمسيحي . وكانت ايام الآحاد ايام العطلة بدل الجمع . ولما انقسمت بلاد الاندلس بين الطوائف امسى ملوك المسيحيين يتزوجون من بنات الامراء المسلمين فقد تزوج الفونس السادس زايدة ابنة امير اشبيلية . وان اسبانيا على ما كان بين العنصرين المسيحي والاسلامي في الاندلس من الاختلاف الذي لا مناص منه قد اصبحت مدة قرنين ونصف اي منذ الفتح العربي الى زوال الخلافة الاموية (٧٧٤—١٠٣١) تحت السلطة العربية والمدنية العربية برضاها لا بالرغم منها وقد مزجت تلك المدنية بالمدنية الاسبانية اللاتينية واليهودية التي كانت هناك قبل الفتح الاسلامي وكان ذلك بفضل العقل العربي

من الظلم ان يقال ان اسبانيا كانت قبل اغارة العرب عليها في حالة الهمجية فقد

كانت المدنية اللاتينية زاهرة فيها بفضل رجال الدين فاصبحت اشبيلية بواسطة أسقفها القديس ايزيدوروس مركزاً عالياً تأوي السلام لم يقو الفتح العربي على زعزعته واتخذت مدرسة اشبيلية التقاليد اللاتينية من الحركة الشرقية فاصبحت البيع والاديار محال الاعتقادات والمعارف ولا سيما طليطلة وقرطبة واشبيلية فكان يدرس فيها علم العروض والآداب اللاتينية مع علم اللاهوت • وعلى الرغم من سعي الاساقفة انتشرت المدنية العربية بسرعة وكادت تقضي على الوطنية الاسبانية واغفلت تلك المدنية الأصلية حتى ظلت معاهدها من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر مباءة الانحلال والتشتت

دان كثير من الاسبانيين بالاسلام فاخذوا يتناسون اصولهم و يتنكرون لعقائدهم واخلاقهم واخذوا يتكلمون بالعربية بفصاحة لا غبار عليها وتمكنوا من آداب العرب حتى صار الخلفاء يختارونهم فيما بعد عمالاً لاداراتهم وامناء لشورتهم واسرارهم اي في جميع الوظائف التي تقتضي ان يكون لصاحبها معرفة واسعة باللغة العربية ومتى قبل احدهم مدنية الفاتحين لا يلبث ان يعترف بانها ارقى من غيرها

كانت مدنية العرب في اسبانيا محسوسة في الامور المادية وذلك بما استنبطوه من الوسائط الزراعية لاخصاب الاراضي البور في اسبانيا بالاساليب العملية التي اتخذوها لريها وهي اساليب ان لم تكن اختراع العرب فهم الذين اكملوا نقصها واحسنوا استخدامها كما انهم اسسوا معامل الحرير والجلود والبلور وغزل الصوف والقطن والكتان والقصب واقاموا ما لا يحصى من البنايات العمومية من مثل الجوامع والحمامات ومنها ما يستدعي اعجاب الامم باسرها حتى بعد ثمانية قرون من تأسيسه مثل جامع قرطبة وقصر الحمراء في غرناطة • ثم حسنوا العمران بتخطيط المدن الآهلة بالسكان العبثة الرياح التي لم تسترجع بعد العرب ما كان لها في ايامهم من الحضارة وما برحت القناطر وما فيها من جمال رائع وصناعة محكمة ولا سيما في قرطبة وغرناطة شاهدة ابد الدهر بتلك المدنية باعثة على التأسف لزوالها

ثم ان العرب فاقوا من تقدمهم في شبه جزيرة الاندلس بعلوم الطب والنبات والفلك والطبيعيات سواء كان بالعمليات او بالنظريات فكيف لا يبرزون في علم البلاغة والفلسفة والشعر وهي العلوم التي كان لهم التقدم الاعلى فيها • وقد اجتذب حب هذه الحضارة حتى المسيحيين ومنهم من تناسى الاحقاد والمبادئ وما انقضت ثلاثون سنة على الفتح حتى اصبح الناس ينسخون الكتب اللاتينية بحروف عربية كما كان يفعل

اليهود يختلطون بالعرب فلم يمض نصف قرن الا وقد دعت الحال الى ترجمة التوراة والقوانين الكنائسية الى اللغة العربية ليتمكن رجال الدين القسس من فهمها.

وقد اتخذ المسيحيون اللغة العربية ترجماناً لعواطفهم وقلوبهم حتى ان الفارو القرطبي صديق الشهيد اولوج كان قال يشكو في كتابه تاريخ التمدن في اسبانيا من ان المسيحيين في الاندلس قد اولعوا في حب العربية حتى صاروا يجيدون تلاوة قصائد العرب وقصصهم ويدرسون كتب علماء الاسلام والاسلاميين لا ليردوا عليها او يجاوبوا منطقهم. قال: وكيف السبيل الى ايجاد رجل من العامة يقرأ التفاسير اللاتينية في الكتب المقدسة ومن منهم يتدارس الاناجيل والانبياء والرسل ومن الاسف ان جميع شبان المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم لا يعرفون غير العربية واذاً فهم يقرأون الاسفار العربية ويتدارسونها بشغف لا مزيد عليه ويقتنونها بالاثمان الغالية ويملأون بها خزائن نفيسة ويذكرون في كل مكان ان آداب العربية مما يعجب به واذا حدثتهم بالكتب المسيحية يجيبونك بازدراء ان هذه الكتب غير جديرة بالتفاتهم. فيا للألم من ان نسي المسيحيون حتى لغتهم ولا تجد في الف واحداً منهم من يستطيع ان يكتب كتاباً مناسباً باللغة اللاتينية الى صديق له وانك اذا كلفت احدهم ان يكتب بالعربية تجد جمهوراً يعبرون عن افكارهم بهذه اللغة في صورة بديعة وقد ينظمون من الشعر العربي ما يفوق ما فيه من الصناعة شعر العرب انفسهم.

والقول في قصور الاسبانيين عن شأو العرب ان الحضارة الاسبانية اللاتينية قد نضب معينها وذهبت نضارتها على حين كانت الحضارة العربية على اشد نضرتها وزهوها خفاقة ألويته في الاندلس ولا سيما من عهد عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني وفي ايامهما كانت الاندلس في اوج الاحترام.

فكان في قرطبة وسكانها نصف مليون نسمة ثلاثة آلاف جامع و[illegible] وحدائق وفيها الآكام المزروعة المغروسة والحدائق الانيقة وعلى نحو فرسخ من قرطبة قصر مدينة الزهراء ودارة الحريم فيها لسكنى ستة آلاف امرأة فكانت قرطبة تزاحم بغداد الاولية بمجدها ونضارتها.

وقد عرف عبد الرحمن الثالث الذي بلغ عهده جلالاً وأكبرهم بالسيادة والمقام

ـ وكان في خزانته عشرون مليون ذهب (كذا) . ان حماسته المتناهية في اجتلاب الشعراء وارباب الموسيقى ومشاهير العلماء يتجلى في ذلك بسلالة عامة . وان المتوسطين من هؤلاء الخلفاء ليبذرون النفقات الطائلة على اناس لهم في الاسكندرية والقاهرة ودمشق وبغداد وكل اليهم ان يوقفوه على الحركة العقلية فيبعثون اليه باهم المصنفات واجمل الآثار . مثال ذلك ان امبراطور القسطنطينية لم ير احسن من ان يهدي مصنفاً بديعاً من ديوسقوريد مكتوباً بالذهب وقد حمله مع راهب عهد اليه تعريبه للخليفة اشتغالاً لارضائه

وان الحكم الثاني الذي ولعه بالآداب والكتب النادرة فكان يملأ قصره بالنساخ والمجلدين والنقاشين وبلغت فهرست كتبه بحسب رواية معاصريه اربعة واربعين جزءاً وكل جزء عشرون صفحة وقال آخرون ان في كل جزء خمسين صفحة . ولم يكن فيها غير اسم الكتاب ووصفه . وقد قرأ الحكم هذه المصنفات وشرحها وحشاها وعلق عليها تعليقات تدل على طول باعه في تاريخ الادب العربي . وبذل لابي الفرج الاصفهاني من علماء العراق خمسة آلاف دينار ليخص الاندلس بتأليفه وهو عبارة عن دائرة معارف حوت اخبار الشعراء والمغنين . وكان العلماء من اسبانيا وغيرها يتهافتون على قصره فيجلس بينهم ويغدق عليهم الاحسان واشتهرت كلية قرطبة في العالم باسره وان لم تكن معروفة الا بمعهد وسمي علماؤها اكثر من جميع الكليات العربية . وكان عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني يحميان العلماء فيها من تعصب المتعصبين في العبادة . فيأتي الجامع الاعظم الوف من الاندلسيين والاجانب من كل البلاد لاشتهاره بانه معهد علمي وذلك من مدينة الاستانة الى جرمانيا حيث كانت هروسفيتا تعجب بقرطبة وهي في ديرها . وفي ذلك الجامع كان ابو بكر بن معاوية القرشي يقرئ الحديث النبوي وابو علي القالي البغدادي يملي اماليه المشهورة الغنية بالنكات اللغوية والشعرية المأثورة عن العرب القدماء وابن قوطية اشهر نحوي في عصره يدرس النحو

ورأى الحكم قبيل وفاته ان من الصعب على من بعده نشر المعارف بين الفقراء فانشأ في قرطبة سبعة وعشرين مدرسة ينفق على مدرسيها من ماله . ولئن كانت هذه المدارس الصغرى كالكليات لا تنطبق على ما نريده منها اليوم فكانت المدارس الابتدائية لتعليم القراءة وتفسير بعض آيات من القرآن ومع هذا كانت تشهد بما فطر عليه رعاياه من حب المعارف والعلم

وان ذهاب الخلافة من الاندلس سنة ١٠٣١ م وتقاسمها بين ملوك الطوائف سواء

كانوا من اشراف الأسر العربية او حذاق البربر . يقف عثرة في سبيل هذه الحياة بل كانت شأن عامة ملوك الطوائف شأن اولئك الامراء في ايطاليا في زمن النهضة يحاولون ان [illegible] مجالسهم بجانبهم العلماء والادباء والشعراء الذين كانت اماديحهم واهاجيهم عند العرب ذات شأن كبير حتى كان اعظم الخلفاء في بغداد ودمشق يحاول ان يستميلهم ليسالموه ويحسن اليهم بمدحهم .

ولقد ادت اشبيلية في تلك العصور الحالكة الخطيرة فكان المعتمد ابن عباد ابن القاضي ابي القاسم محمد مؤسس الدولة العبادية من الامراء القلائل المنهمكين بزرع الورد في حجر حدائقه الكثار ويسرح طرفه بالنظر الى هذه الحديقة ويدمن الخمر ولكنه ينظم الغزل الرقيق ويجمع الادباء وقال اديب المعتمد المحبوب الذي هلك في ذرة المرابطين احد الشعراء العظام الامعي في الادب الاسباني العربي وقد اعطى من اجل بيتين مدى لعبد خلال الف دينار . وكان ابن عمار رفيق صباه وحبيبه زمناً شاعراً ايضاً ويبدي مولاه رقة الشعر ورشاقته وكانت رميكية السلطانة المحبوبة التي اشتركت طول حياتها مع المعتمد وفاتها مشهورة بديهتها وهكذا كانت غاية هؤلاء المتوثبين الطرباء من الحياة ان يستمتعوا ويترفهوا وان يقبلوا الى ساحة الآداب والصنائع الفكرية فكانت عامرة ومزدهرة .

ولقد نافست مملكة المرية في عصرها مملكة اشبيلية وكان ابن عباس الوزير الجبار (توفي ٤٢٩ — ١٠٣٨) يفخر بانه جمع من الذهب والفضة في خزانة كتبه التي تضم اربعمائة الف مجلد اكثر من معاصريه بفضل العلم والسنة لعصره . ذكر المعتصم الذي طرده المرابطون كما طردوا المعتمد بانه احسن ملوك الطوائف واعطفهم سيرة بلاد الاندلس وكان قصره ملجأ الشعراء مشحوناً حتى وهب ابن شرف قرية برمتها لبيت من الشعر قاله . وكانت لمعة من الشعر او قصيدة من المدح الرقيق تحظى لدى اصحاب العطايا . وهو يرغب في سماع الاهاجي والاستهزاءات في ساحته وحلقات من [illegible] ولما كان الادباء يسرعون الى قصره يمدحونه ويرجون عطاياه التي لا تلحق فقد صار له في المرية طائفة من الشعراء يتبعهم الناس ويأتون اليه من البلاد الاخرى ومن جملتهم ابن الوليد النحلي الذي اغدق عليه المعتصم عطاياه [illegible] ولكن المعتصم كان لا يلحظ من شعره الا ما يمتاز بالاحسان والابداع . ومنهم ابن شرف وابن الحداد من [illegible] وهو ابن الحداد المشهور [illegible] ابن الحداد من الاندلس الذي اشتهر بانه اعظم شاعر اندلسي

وكان في الاندلس مثل ابي عبيد البكري ابن احد ملوك الطوائف وهو اعظم جغرافي عربي في اسبانيا وكان له ايضاً حظ وافر من الشعر وله صداقة اكيدة مع المعتصم وكان هذا او جميع اسرته يتعاطون الشعر ولا سيما ما كان منه في الغزليات والخمريات وما زال غزل ابنته واشعار الكرام معروفاً الى اليوم عند كل من اطلعوا على الآداب العربية .

وبحثت قواعد الحضارة العربية منذ القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر ويورث الفضل في ما كان من الحركة السياسية في جميع اسبانيا الجنوبية بحيث تؤثر تأثيراً شديداً حتى في اعدائها الالداء اي الامراء النصارى في شمالي اسبانيا . وانتشر فيها استعمال اللغة العربية بكثرة حركة فرسان ليون وارغون الذين كانوا يذهبون للغزو مع المسلمين . وما كان يراه ملوك قشتالة وليون وارغون من ضرورة الاتحاد مع جيرانهم في الجنوب (العرب) الكفار . وذلك اليوم الحرية في عهد خلفاء الاندلس ولما العرب في عهد الفونس السادس ملك قشتالة وليون وتلقب بملك الملتين .

فكان في قصر الفونس السادس ملك اهل الدينين كما كان الشعوبيون من المتفقهين في اللغة العربية كل الاطلاع على دقائق اللسان العربي بحيث يسهل اليوم [illegible] امراء الطوائف من المسلمين لقد كان الملك كما [illegible] عهد الحكم العربية لا يرتقي [illegible] في العقل والاخلاق وبين مسلمي السنة . ولما دخل الفونس السادس الى طليطلة سنة ١٠٨٥ وكانت هذه المدينة عاصمة القوط القديمة [illegible] بعد الاستيلاء عليها ورأت [illegible] على شيء من العلوم الاسلامية [illegible] في هذا الشأن وكان [illegible] في عصره لان [illegible] في الشمال ما زالوا متوحشين [illegible] من الاحتكاك بالعنصر العربي [illegible] وصار عقلاء [illegible] المدرسة [illegible] في طليطلة اوائل القرن الحادي عشر في ترجمة [illegible] اي زمن ابي عبد الله محمد بن عيسى [illegible] واحمد بن عبد الرحمن بن الطاهر الانصاري وغيرهما من الاساتذة ومن هذه المدرسة نشأت تربية الاسبانيين على مناحي العرب . وفي سنة ١١٣٠ انشأ ريمون رئيس اساقفة طليطلة في هذه المدينة مدرسة للترجمة وبها وحدت اللغة العربية والافكار العربية في اسبانيا الشمالية (المختصر)

◆

تاريخ الامم والملوك

هو اوسع تاريخ عربي لاشهر الائمة صاحبه ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة عشر وثلاثمائة قال ابن خلكان في ترجمته هو صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله وكان من الائمة المجتهدين لم يقلد احداً . . . وكان ثقة في نقله وتاريخه اصح التواريخ واثبتها

هذه خلاصة حال هذا العلامة الكبير وقد اصابه ما اصاب كبار العلماء في الاسلام من الحط من شأنه وايذائه قال ابن الاثير وفي هذه السنة (٣١٠) توفي محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ومولده سنة اربع وعشرين ومائتين ودفن ليلاً بداره لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً وادعوا عليه الرفض ثم ادعوا عليه الالحاد وكان علي بن عيسى يقول والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والالحاد ما عرفوه ولا فهموه هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وحاشا ذلك الامام عن مثل هذه الاشياء واما ما ذكره من تعصب العامة فليس الامر كذلك وانما بعض الحنابلة تعصبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ولذلك سبب وهو ان الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ولم يذكر فيه احمد بن حنبل فقيل له في ذلك فقال لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد فشغبوا عليه وقالوا ما ارادوا

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالناس اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً انه لذميم

وقال الامام ابو بكر الخطيب كان الطبري احد ائمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراآت بصيراً بالمعاني فقيهاً في احكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفاً باقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الاحكام ومسائل الحلال والحرام عارفاً بايام الناس واخبارهم وله الكتاب المشهور في تاريخ